مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السادس
1989م.

التصور الفني للدعوة الإسلامية في صدر الإسلام

الدكتور: حسن الفاتح قريب الله
جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

لم تكن البعثة المحمدية حادثاً دينياً يقتصر أثره على أداء الصلاة والزكاة وغيرها من بقية الأركان ، وإنما كان حادثاً اجتماعياً وفكرياً وسياسياً وأدبياً . . كان حادثاً تناول بالرعاية والتوجيه والتأثير ، كل مظاهر الحياة وألوانها ، حتى لم يعد هناك جانب واحد يخرج عن نطاق المعيار الإسلامي في العقيدة ، والتشريع . . بالإسلام اصطبغت حياة الناس جميعها ، وانعكس أثر ذلك على أدبائهم ، فطفقوا يشيدون بعظمة الإسلام ويحملون لواء الدعوة له ويعملون على ترسيخ قيمه ، ومثله ، ومناهجه في التربية والسلوك ، متخذين من كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، اطاراً عاماً يرتكزون إليه في صياغتهم ، وهدفهم ، ويعتمدون عليه في مسيرتهم الفنية الخيرة .

أطوار الأدب في العصر الإسلامي :

هذا وقد مرت حركتهم الأدبية في هذا المجال بأطوار هامة :

الطور الأول : كان طوراً استيعابياً ، ونفسياً ، أكثر منه إنتاجياً وفنياً في هذا الطور أثارت العرب فصاحة القرآن ، وبلاغته ، وهز عقولهم ، ما اشتمل عليه من توجيه

فكري ، وسلوكي . . فكان ميلهم إلى سماعه ، وترديد آياته ، أكثر من ميلهم إلى إحداث صياغة بشرية لتعاليمه . . خاصة وقد نضب بالرسالة الإسلامية معين أدبهم ، فلم تعد الذكريات أو الأغراض التي يصبونها في قوالب شعرية ونثرية، لم تعد تؤلف جزءاً من كيان الحياة الجديدة للإنسان المسلم ، بقدر ما تؤلف ماضياً يزدريه ، ويأنف منه ، ولا يعنيه من أمره شيء ، ولا أدل عى ذلك من تقييم نفس العربي لأغراض الشعر عند ابن رواحة مقارناً بأغراضه عند حسان وكعب . لقد كان شعر حسان وكعب ذا أثر فني رائع لدى العربي قبيل إسلامه ولكنه ما أن أسلم حتى أدرك ان ما كان ينزع إليه ابن رواحة في شعره كان أشد مضاء عليه ـ لو كان يفهم طبيعة الإسلام ـ من شعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك[1] .

هذا ولم يكن القرآن الكريم وحده هو مصدر هذه القيمة الأدبية ، التي أدهشت العرب ، وأعجزتهم ، بل أن أحاديث الرسول ﷺ نفسه ، وخطبه ، وتصرفه الفني في أساليب البيان، كان عاملاً من عوامل الحيرة التي عاش فيها الأديب ، وهو يقارن بين ماض كان يصوغه في قوالبه الفنية ، وبين حاضر صيغ في قوالب إعجازية.

لقد كان الرسول عليه السلام ، حريصاً على أن يتحدث إلى الناس ـ إذ يتحدث ـ بألوان من الفن الأدبي الرفيع، تسمو على مستوى الحديث اليومي ، أو الخطابة العادية ، وتقصد قصداً واضحاً مؤكداً إلى الجمال الأسلوبي ، والخيال البديعي ، سالكاً لتجسيد ذلك كل أساليب التمثيل والتصوير ، والحوار ، مضمناً أحاديثه القيم الجديدة للمجتمع الطاهر الذي ينشده . كل ذلك في أسلوب موجز وكلم جامعة . . استمع إليه وهو يصور الحياة الجديدة للمسلم في القالب الفني المعجز الذي أوتيه ، يقول عليه السلام : ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار[2] .

---

(1) جاء في كتاب الأغاني ما نصه : كان يهجوهم (يعني قريشاً) ثلاثة نفر من الأنصار ، يجيبونهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع ، والأيام ، والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، وينسبهم إلى الكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان ، وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة . فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم ابن رواحة (الأغاني جـ 15 ـ (ص29 طبع بولاق).

(2) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

الطور الثاني : طور التعبير البياني ، عن الاحساس الديني بالأسلوب :

(أ) القرآني .

(ب) النبوي .

(جـ) الخطابي .

ومن هذا القبيل ، ما روي من أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ ، فعرض عليه الإسلام فقال : إني رجل شاعر فأسمع ما أقول . فقال : هات . . . فأنشد :

لا وإله الناس نا لم حربهم ... ولو حاربتنا منهب وبنو فهم

ولما يكن يوم تزول نجومه ... تطير به الركبان ذو نبأ ضخم

أسلمنا على خسف ولست بخالد ... وما لي من واق إذا جاءني حتمي

فلا سلم حتى تخفر الناس خيفة ... ويصبح طير كانسات على لحم

فأدرك النبي عليه السلام ما يرمي إليه الطفيل ، وهنا وجهه إلى غرض آخر يرمي إليه ، فقال : وأنا أقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . ثم اتبع رسول الله ﷺ تلاوة هذه السورة ، بآيات أخرى توضح مرمى ما يهدف إليه في المجتمع الجديد ـ فما كان من الشاعر وقد بهره أسلوب القرآن الكريم ، وأخذته روعة مراميه ، وأغراضه ، إلا أن أعلن أمام رسول الله ﷺ إسلامه[3] .

ويماثل ذلك موقف لبيد (توفي سنة 41 هـ) ، إذ يروى ، أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة ، ان استنشد من قبلك من شعراء قومك ، ما قالوا في الإسلام فأرسل إلى الأغلب العجلي ، فقال الأغلب :

ارجزا تريد أم قصيدا ... لقد سألت هيناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيد ، فقال له : إن شئت مما عفى الله عنه ـ يعني الجاهلية ـ فعلت . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام : فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة وقال : ابدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر[4] .

---

(3) الأغاني : جـ 12 ، ص 53 .

(4) الأغاني : جـ 18 ، ص 164 . والمجتمعات الإسلامية للدكتور شكري ص 358 . وتاريخ آداب اللغة العربية =

أما الخطابة فقد آثرها الإسلام أكثر مماآثر الشعر مراعياً في ذلك :

(أ) ان الشعر كان من أكبر عوامل الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد.

(ب) المبالغة التي يجنح إليها الشعراء ، بحيث يصورون بها الباطل حقاً والحق باطلاً ، فيفسدون بذلك فطرة الله ، التي فطر الناس عليها[5] .

(حـ) تحريك الغرائز الشريرة في النفوس ، مما يجعل الشعر معولاً في تحطيم المجتمع ، وكشف عورات المخدرات ، وايقاع الفتن بين أبناء الإنسانية[6] .

(د) سيرورة الشعر . . . وعلى الأخص ما يشتمل عليه من تعبيرات موجزة مؤثرة[7] .

(هـ) سهولة حفظ الشعر، مما يجعله على الدوام سلاحاً خطراً ، يخشى منه على حامله وعلى المستمع له .

= لجورجي زيدان : جـ 1 ، ص 103-102 . وهذا وبينما يذكر البعض أن لبيداً بالرغم من شاعريته لم يقل إلا بيتاً واحداً بعد إسلامه وهو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

يذكر صاحب جمهرة أشعار العرب للبيد أشعاراً أخرى أوصى بها ولده جاء فيها (صفحة 31) :

فإذا دفنت أباك فأجـ ـعل فوقه خشباً وطيناً
وصفائحاً صماً رواسيـ ـها يُسَدِّدْنَ الغضونا
ليقين حر الوجه في عفر التراب ولن يقينا

وأثر عن لبيد قوله : اني تركت الشعر منذ قرأت القرآن وإني ما أعيا بجواب شاعر (ص 30 جمهرة أشعار العرب) .

(5) راجع نماذج من هذا الشعر في العقد الفريد : جـ 3 ، ص 418 ، ـ والخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب : لأبي زهرة ، ص 28, 68, 138 من القسم الثاني ، ويراجع أيضاً عن نفس الموضوع فجر الإسلام : ص 97 .

(6) البيان والتبين للجاحظ : جـ 1 ، ص 204 هذا ويحدثنا الرواة أن الزبرقان بن بدر ـ وقد كان أحد الذين قسا عليهم الحطيئة شكى هذه القسوة إلى عمر فأمر عمر بالحطيئة أن يسجن ولم يشفع له في سجنه إلا هذه الأفراخ الزغب الحواصل التي خلفها وراءه بذي مرخ ، فكتب إلى الخليفة يستعطفه في شأنها وعاهده على أن يستوي حيث استوت الجماعة ، وأن يسير حيث تسير (المجتمعات الإسلامية في القرن الأول) للدكتور شكري فيصل ، ص 362 ـ وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان : جـ 1 ، ص 141 ـ والعقد الفريد : جـ 3 ، ص 408 وتاريخ الآداب العربية لكارلونالينو : ص 93 .

(7) الإيجاز أحد خصائص الشعر راجع تاريخ الشعر العربي للبهبيتي ص 78.

(و) الميل الفطري للإنسان للتغني الفردي ، والجماعي ، بالأوزان الموسيقية التي رُبَّما أدت إلى ما يقبح عمله ، ويضر انتهاجه ، أضف إلى ذلك :

1 ـ ما جاء في القرآن الكريم عن الشعراء حيث يقول تعالى : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾[8] .

2 ـ ما روي عنه ﷺ من أحاديث أراد بها تقبيح الشعر عند الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين ، وفروضه ، مثل قوله : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير من أن يمتلىء شعراً مما هجيت به[9] .

لكل ما تقدم ولغيره ، ولما في الخطابة من قدرة على التعبير والتنوع وسرد الحجج والبراهين القطعية ، ـ آثر الإسلام الخطابة ، وأنشأ لها مدارس ، وأعطاها مكانة دينية ، بحيث أصبح المسلمون يفتتحون بها عباداتهم تارة ، كما في الجمعة ، ويختمونها بها أخرى ، كما في العيدين وغيرهما[10] .

3 ـ وفي الطور الثالث من أطوار الحركة الأدبية أتاح الإسلام للشعر أن ينطلق في حدود ما رسمه له، بعد أن زوده بزاد فكري، وبقيم ومثل بينها وحدة الإله والتقوى منه ، والخضوع المطلق له ، والتقيد التام بما جاء في كتابه ، والوفاء بالوعد والصبر في الشدائد والعدل المطلق مع من أحب أو كره ، والعفو عند المقدرة ، والعفة واخضاع المنافع الشخصية والقبلية لمنافع الدين ، وأوامره ، وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة والانصهار الكامل في بوتقة الدين كل ذلك انطلاقاً من مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية .

(أ) 1 ـ ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخرة والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم**

---

(8) سورة الشعراء : الآية 224, 225, 226 .

(9) الحديث أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ومن حديث أبي سعيد الخدري ـ راجع أيضاً العمدة : جـ 1 ، ص 12 ـ والأغاني : جـ 3 ، ص 13 ـ ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ص 13 ، وهامش نفس الصفحة بطبعة المنار سنة — 1331 هـ.

(10) العقد الفريد : جـ 2 ، ص 244ـ والخطابة لمحمد أبو زهرة القسم الثاني ص 35 فما بعدها .

إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[11].

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[12].

3 ـ ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون﴾[13].

4 ـ ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[14] .

5 ـ ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[15].

6 ـ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾[16].

(ب) 1 ـ المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

2 ـ إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى .

3 ـ من قاتل تحت راية عمّية يغضب لعصبية ، أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية ، فقتل . قتل قتلة جاهلية .

أضف إلى ما تقدم أن الرسول عليه السلام كان قد أهدر دماء الجاهلية حتى لا تكون مطلباً دائماً للثأر ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، بعد ما كان بين المكيين والمدنيين من عداء .

هذا واعتماداً على ما تقدم من أسس وبناء على استحسانه عليه السلام للشعر الخيّر[17]

---

(11) سورة البقرة : الآية 177 .

(12) سورة الحجرات : الآية 13 .

(13) سورة المؤمنون : الآيات 1 - 5 .

(14) سورة البقرة : الآيات 1 - 4 .

(15) سورة آل عمران : الآية 134 .

(16) سورة المؤمنون : الآية 96 ، وسورة فصلت : الآية 34 .

(17) العقد الفريد : جـ3 ، ص 380 فما بعدها .

وبناء على الإذن الصريح منه للشعراء بالمنافحة عنه ، وعن رسالته إليهم[18] بعد استثناء القرآن الكريم لبعضهم من زمرة الغاوين الذي ورد ذكرهم في آية ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾[19] ـ بعد كل ما تقدم انطلق الشعراء يشيدون بالدين الإسلامي ويعبرون في صور بيانية رائعة عن كنه دعوته ويثنون في أساليب بيانية رفيعة على رسول الله ﷺ وعلى صحابته ، ومقتفي أثره ، مجسدين المعاني السامية التي استقوها من كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، واضعين بذلك أنموذجاً رفيعاً لما يجب أن يكون عليه الشاعر في المجتمع الإسلامي .

هذا وبما أن المجتمعات لا تتبدل أخلاقها ، ويتغير سلوكها ونهجها بين يوم وليلة . فقد راعى عليه السلام الفترة الإنتقالية التي يمر بها المجتمع من حالته التي كانت له فيها قيم ، ومثل وتاريخ ، إلى حالة أخرى تغيرت عليه فيها إلى حد كبير تلك المثل واختلفت القيم وتبدل تبعاً لذلك التاريخ واختلفت النظرة لأهداف الحروب وغاياتها ووسائلها . كما راعى أيضاً التدرج في سير المجتمع نحو الغاية التي ينشدها له ، من ثم وجّه شاعره حسان بن ثابت بأن يخاطب القوم بما يفهمون ويجاريهم بالسنان التي منها يخافون ، وحيث أن سلاح الهجاء بتجسيد الهنات كان أمضى الأسلحة ضدهم آنذاك فقد قال له عليه السلام : اهجهم (يعني المشركين) ومعك جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات كما قال له أيضاً ولعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك : اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل[20] .

ولما كان حسان قد أدرك ما يريده منه رسول الله ﷺ فقد أنشد فأشفى فنال بذلك ثناء الرسول عليه السلام وإعجاب الوفود[21] . . بل إن الرسول عليه السلام زوجه إكراماً له ،

---

(18) يروى أن النبي ﷺ قال : ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم . كما يروى أنه قال لحسان بن ثابت : اهجهم (يعني قريشاً) ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات (العمدة جـ 1 ، ص 12) وراجع أيضاً ترخيص الإسلام للمسلمين للدفاع عن أنفسهم بالأسلوب الشعري في كتاب العقد الفريد : جـ 3 ، ص 395 فما بعدها .

(19) سورة الشعراء : الآية 224 .

(20) الحديث أخرجه الشيخان في صحيحهما ، والطيالسي وأحمد في مسنديهما ،والطبراني في المعجم الصغير جـ1 ص207/22 والخطيب في تاريخه : 31/14 من حديث البراء بن عازب بلفظ أهج المشركين فإن جبريل معك ، وراجع دلائل الإعجاز للجرجاني : ص 13 .

(21) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 2 ، ص 204 - 205 . وصحيح مسلم : جـ 7 ، ص 165 ـ والأغاني : جـ 4 ، =

بسيرين أخت مارية القبطية أم ولده إبراهيم رضي الله عنه ، كما وهبه قصراً بالمدينة ، كان أبو طلحة قد وقفه على آل محمد[22] ﷺ .

لقد كان منهج حسان في الشعر يقوم على بتر عدوه من الشجرة القرشية ، ويجعله فيها طائراً غريباً ، يلجأ إليها كعبد ، أو دعي : أو متبنى ، أو يجعله غصناً مريضاً هشاً . . ثم يعمد إلى أطرافه غير القرشية فيسدد إليه السهام من خلالها ، كما يفري أخلاق المشرك ، وعرضه ، فيجعله موطناً للجهل واللؤم والبخل والجبن والفرار من ساحات الخلق مثل انقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك . وكان أكثر ما يذكر من ذلك موقعة بدر وهزيمة قريش فيها[23] .

بمثل هذا الشعر عبرت الحركة الإسلامية جسر المرحلة الانتقالية ، لتقيم ثم بناءها الشعري ، على الأسس التي اختارها لها رسول الله ﷺ . . وقد كانت هذه الحركة من الحزم والصلابة على الحق بحيث لم تسمح لأي فرد حتى لحسان نفسه بأن يعود إلى الماضي بعد أن اجتازه . فيفري أعراض الناس بلسانه . يروى أن حسان بن ثابت رضي الله عنه كان قد شارك بشعره في الفتنة التي نشبت بين الأنصار والقرشيين فآلم ذلك خليفة المسلمين سيدنا عمر رضي الله عنه ، فمشى نحوه ، وأمسك بأذنه يجره إليه ، وهو يقول : أرغاء كرغاء البعير[24] .

الخلاصة :

نخلص مما تقدم ، بأن الإسلام لم ينزل الأدب منزلة الترف أو اللهو وإنما طوعه ليكون وسيلة من وسائل التماسك الاجتماعي ، الذي دعا إليه ، فخرج به عن مفهومه الجاهلي ، إلى مفهوم إسلامي ، لم يكن للعربي به سابق عهد أو خبرة .

على أن موقف الإسلام من الشعر كان قسياً لموقفه من فنون الأدب الأخرى من خطابة ورسائل ، وقصص ، وأمثال ، فقد أهدر الإسلام منها جميعاً الجانب الأناني ،

= ص 8 - 9 طبع بولاق وسيرة ابن هشام : ص 934 - 938 ـ طبع أوروبا وتاريخ الطبري : جـ 1 ، ص 1710 ـ والطبقات الكبرى لابن سعد : جـ 1 ، ص 40 طبع بيروت .

(22) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص 332 .

(23) حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، ص 232 .

(24) الأغاني : طبع دار الكتب ، جـ 4 ، ص 144 ـ وفي العمدة ص 10 ، أرغاء كرغاء البكر .

والقبلي ، وسخرها لتكون وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية ، والاعلام الداخلي ، والخارجي ، بفكر الإسلام وعقيدته وتشريعاته وأخلاقه .

بذلك رفع الإسلام قيمة الأدب بكل فنونه فجعله اطاراً انسكبت فيه صور الفكرة الإسلامية ، ومادة عبرت به عن جوهرها الفكري ومنازعتها الوجدانية ومسالكها الخيرة ويكفي أنه إذا ذكر الأدب في العصر الإسلامي ، ذكرت معه كل قيم الإسلام الرفيعة ، التي مثلت للناس به ، وعرضت لهم بألفاظه ، وصورت أمامهم بأساليبه وسيقت نحوهم في مسالكه الفنية الرائعة الباهرة .

هذا وقد أعقب طور اهتمام المسلمين بالشعر أطواراً فنية أخرى ، كان بعضها يعنى بترتيل القرآن ، وبموسيقى الشعر ، وتحسين أدائه عبر الأصوات المرددة له[25] مضافاً إلى ذلك ما ظهر في العصور المتأخرة من النحت والنقش والرسم والتصوير . على أن الذي يهمنا هنا أن نحدد في جلاء بعض ألوان الشعر وأغراضه في العصر الإسلامي الأول كما نشير في ايجاز لمساهمات الشعراء في المسيرة الأدبية الجديدة ، دون مراعاة لقلة ما أنتجوه أو كثرته ، إذ المهم عندنا الآن هو الروح الجديدة التي سادت مجتمع الشعراء ، والفن البياني البديل ، الذي انتشر بينهم ، فأصبح بذلك أنموذجاً أدبياً لغيرهم وتصويراً فنياً يقتفي نهجه سواهم .

دور الشعر
في العهد الإسلامي الأول

الأثر الإسلامي في الشعر :

كانت الطفرة الكبرى في الشعر قد بدأت بعد البعثة المحمدية إذ رفع الإسلام مستوى العرب العقلي كما نشر بينهم كثيراً من أحوال الأمم الأخرى ، وتاريخها ، بأطناب أحياناً وبايجاز أحياناً أخرى .

وشرع أحكاماً مختلفة ، في التشريع ، بل وسما بخيال الشعراء ، من الجزئيات إلى

---

(25) راجع ما جاء عن السماع مدحاً وذماً في العقد الفريد : جـ4 ، ص 90 فما بعدها .

الكليات ومنح للفرد منهم شخصيته فاستله بذلك من الولاء والاندماج في القبيلة ، إلى الولاء لله والاندماج في سلك عبادته فنظمه بذلك مع من اتخذوا الدين لهم منهجاً وغاية .

لقد خلق الإسلام للشعراء موضوعات جديدة كما حور مفهومهم لأغراض الشعر القديمة ليتمشى كل ذلك مع المظاهر والقضايا التي واكبته فأصبح الشعر بذلك وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية ، وسيفاً من سيوف الإسلام على الأعداء ، جزوا به كل خلق سيىء وبنوا به صرحاً خلقياً لم يعهده الجاهليون من قبل . . ولئن كان الشعر سابقاً ديواناً للعرب فقد أصبح ديواناً للإسلام[26] لا يتبع فيه الشعراء الغاوون ، وإنما ينفخ فيهم روح القدس[27] ويرفع من قدرهم تقدير رسول الإنسانية لهم وإعجابه بمضمون شعرهم[28] ، ومنحه الجوائز المادية وغيرها للمبرزين منهم ، وما البردة التي أعطاها رسول الله ﷺ لكعب بن زهير جزاء قصيدته (بانت سعاد)[29] إلا تجسيداً لمكانة الشعراء في الإسلام[30]

---

(26) شعر الدعوة في العصر النبوي لعبد الله بن عبد المحسن التركي وهو ضمن مقالات جمعت في المجلد الثالث من بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين طبعتها جامعة الملك عبد العزيز (أوفست المدينة للطباعة ـ جدة) ص 1037 .

(27) صحيح مسلم : 165/7 ، ود . شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ص 332 .

(28) قال عليه السلام عن حسان بن ثابت هجاهم حسان فشفى واشتفى صحيح مسلم : 165/7 .

(29) للشماخ بن ضرار قصيدة لامية على نفس الوزن تبدأ بقوله (بانت سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر في عهدها طول) . راجع ديوان الشماخ : ص 77 - 82 ، طبع سنة 1327 هـ . مطبعة السعادة بالقاهرة وقد ذكر الترمذي في طبقات النحاة أن بندار الأصفهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل قصيدة منها : (بانت سعاد) وذكر السيوطي منها عشرة . راجع حاشية الاسعاد على بانت سعاد للشيخ إبراهيم الباجوري وهو مطبوع بهامش شرح ابن هشام الأنصاري على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ سنة 1349 هـ ، ص 5 - 6 .

(30) روى أن كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبي ﷺ قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم أثرها لم يجز مكبول

رمى إليه ببردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب بِعْنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم ، وأخذ منهم البردة فتداولها من بعده الخلفاء ، حتى إذا كان آخر عهد بني أمية فقدت .

ويذكر الذهبي أن هناك بردة ، كان قد أعطاها رسول الله ﷺ إلى أهل أيلة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار . . وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم وأظن أنها فقدت في فتنة التتار ، ويقال ان هذه البردة كانت قد خلقت وطويت بثياب لتلبس يوم الأضحى والفطر. والبردة هي ثوب حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، كان يخرج فيه ﷺ للوفد (راجع تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين من عهد أبي بكر الصديق إلى =

شـأنها في ذلك شـأن الحلة التي كسى بها عبـاس بن مرداس[31] والجـارية القبـطية ، والقصر المدني اللذين أهداهما لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه[32] .

أغراض الشعر في العهد النبوي :

تعددت أغراض الشعر في العهد النبـوي غير أن أبـرز تلك الأغراض كـان يتمثل في الموضوعات الآتية :

(أ) العقيدة الإسلامية .

(ب) الجهاد والفروسية .

(جـ) الأخلاق .

(د) الهجرة .

(هـ) حروب الردة .

وفيما يلي شذرات ونماذج عن كل موضوع من الموضوعات السابقة .

(أ) العقيدة الإسلامية :

لقد أبدع الشعراء في هذا الميـدان وألفوا فيـه القصائـد الكثيرة ، عـرضوا من خـلالها الصورة الرائعة للدين الجديد ، والوضع المزري للعقائد الفاسدة ، قبـل انبثاق فجـره ونعوا فيه على قومهم ما هم فيه من ضلال، وبعد عن الحق وميل عن الصواب، وحثوهم على الاستجابة لنداء العقل ونبذ عبادة ما سوى الله .

يقـول بُجَيْر بن زهـير بن أبي سلمى ، في رسالـة بعث بهـا إلى أخيـه كعب بعـد عـود رسول الله ﷺ من الطائف :

= عهد المؤلف سنة 911 هـ ، للشيخ جلال الدين السيوطي الطبعة الأولى بالقاهرة سنة 1351 هـ ، ص 13) وراجع أيضاً تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الإسلامي الطبعة الثالثة جـ 1 ص 115، والعقد الفريد ج 3 ص 391-393 ـ وشرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ص 5 - 6 .

(31) العقد الفريد : جـ 3 ، ص 393 , 401 يقول : (وقال النبي ﷺ لما مدحه عباس بن مرداس اقطعوا عن لسانه . قالوا بماذا يا رسول الله ؟ فأمر له بحلة قطع بها لسـانه) وفي خـزانة الأدب للبغـدادي : جـ 1 ، ص 146 ، إن مرداساً عاتب النبي عليه السلام أن أعطاه من السبايا أقل من المؤلفة قلوبهم ، وأعلن عدم رضائه في أبيات عاتب بها النبي ﷺ ، فقال النبي : اقطعوا عني لسانه فأعطي حتى رضي .

(32) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول : ص 332 ، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري : ص 328 .

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلاً ، وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاة وتسلم
لدي يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى عليَّ محرم[33]

أما خزاعي بن عبدنهم فيحكي في أسلوب شعري رائع قصة إيمانه . . وفيها يقارن بين إله أصم أبكم لا يضر ولا ينفع وبين إله حق ماجد متفضل فيقول :

ذهبت إلى (فهم)[34] لا ذبح عنده ... عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها ... أهذا إله ؟ أبكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد ... إله السماء الماجد المتفضل[35]

وقذف الله الإيمان في قلب مازن بن الغضوية ، فمضى إلى معبود قومه (باجر) فجذه واستأصل شأفته وهجر ونبذ الشرك معه وانطلق إلى رسول الله ﷺ ليعلن نبأ ثورته على الضلال فقال :

كسرت (باجر) أجذاذاً وكان لنا ... رباً نطيف به ضلا بتضلال
فالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه مني على بال
يا راكباً بلغن عمراً واخوتها ... إني لمن قال ربي (باجر) قال

وتبرأ ثور بن مالك الكندي ، من قومه حين أصروا على تنكب الطريق وآثروا العمى على الهدى فقال :

وقلت تحلوا بدين الرسو ... ل فقالوا التراب ـ سفاها ـ
فأصبحت أبكي على هلكهم ... ولم أك فيما أتوه شريكا

ونطق شاعر النبي ﷺ حسان بن ثابت (توفى 54 هـ) بأقوى العبارات في هذا الميدان ، وكان مما قاله :

---

(33) الكامل لابن الأثير ، جـ 2 ، ص وهامش ص 186 - 187 . وسيرة ابن هشام وعيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 2 ، ص 208 - 209 ـ وشرح قصيدة بانت سعاد لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري : ص 5 .

(34) فهم اسم صنم .

(35) الكلبي : الأصنام ، ص 40 .

والله ربي لا نفارق أمره ... ما كان عيشي يرتجى لمعاد
لا نبتغي رباً سواه ناصرا ... حتى نوافي ضحوة الميعاد[36]

وحسان هذا كان ممن عاصر الجاهلية والإسلام فهو من المخضرمين ، ولقد اشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة واختص بعد الإسلام بمدح النبي ﷺ . . وكان النبي يسر به ويستنشده الأشعار في الدفاع عن أعراض المسلمين إذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم[37] . . وكان حسان كزميله كعب بن مالك ، يعارض المشركين بمثل قولهم بالوقائع والأيام ، والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب[38] . . ولحسان هذا من الشعر في ميدان العقيدة إلى جانب ما تقدم قوله :

نبي أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله نحمد
وأنت إله العرش ربي وخالقي ... بذلك ما عمرت في الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا ... سواكَ الهاً أنتَ أعلى وأمجد
لكل الخلق والنعماء والامر كله ... فإياك نستهدي وإياك نعبد

وله أيضاً في الرد على وفد بني تميم :

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلو لله نداً وأسلموا ... ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا رب البيت قد مالت القنا ... على هامكم بالمرهفات الصوارم[39]

وحذا كعب بن مالك ، حذو الاعلاميين من الدعاة من اخوانه فزان شعره بصورة رائعة

---

(36) ديوان حسان بن ثابت : ص 74 .

(37) كان يهجو النبي عليه السلام ثلاثة من قريش هم : عبد الله بن الزبعري ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص (تاريخ الآداب العربية لجورجي زيدان : جـ 1 ، ص 142) .

(38) راجع أخبار حسان في الشعر والشعراء : ص 170 ، والأغاني جـ 4 ـ ص 2 و جـ 8 ، ص 169 و جـ 10 ، ص 169 و جـ 13 ، ص 150 و جـ 14 ، ص 2 وخزانة الأدب جـ 1 ، ص 211 وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطاب : بولاق ـ سنة 1308 ، ص 121 والعقد الفريد : جـ 3 ، ص 384 .

(39) ديوان حسان بن ثابت : ص 72 ، وتفسير أبي حيان المسمى بالبحر المحيط عند تفسير سورة الحجرات : ص 107 ، جـ 8 .

يواكب بها التغيير الكبير الذي طرأ على المجتمع مما جعل شعره سجلاً حافلاً لأحداث الإسلام وديواناً لشعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والراشدين وكان مما قال :

زعمت سخينة أن تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

وقال كذلك :

قضينا من تهامة كل نحب ... وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
ولو نطقت لقالت قواضبهن دوساً أو ثقيفاً

وقال أيضاً يصف معاداة قريش للمسلمين ، لتمسكهم بإيمانهم وحرصهم على عبادة ربهم :

ألا هل أتى غسان من نأي دارها ... وأخبر شيء بالأمور عليمها
بأنا قد رمتنا عن قسى عداوة ... معد معا جهّالها وحليمها
لأنا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبي له في قومه ارث عزة ... واعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا ... أسود لقاء لا يرجى كليمها
ضربناهم حتى هوى في مكرنا ... لمنخز سؤ من لؤي عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم ... سواء علينا حلفها وصميمها[40]

وساهم كعب يوم أحد في تسجيل بطولة المسلمين فوضع أمام القارىء والسامع صورة متكاملة لمعركة أحد التي تواجه فيها جيشان قويان ، من حيث البطولة ، وإن اختلفا من حيث الهدف ، والقيادة . . . فلئن ضمّ جيش المشركين أناساً كريمي الحسب ، فقد ضم جيش المسلمين نور الله إلى البشر كافة ، ورسوله لهداية الإنسانية جمعاء ، ولئن ضم جيش أعداء الله من تنكبوا طريق الهداية ، وسلكوا سبيل الردى ، فقد ضم جيش المسلمين مؤمنين ، صدقوا بكتاب الله ، واتبعوا نهج رسول الله . . ولئن كان أولئك بكفرهم قد أمسوا في الدرك الأسفل من الشقاء ، فقد ظللت السعادة هؤلاء الذين آمنوا بالله ، وصدقوا برسوله . . وقد خلص الشاعر من مقارنته بين الجيشين ، بنتيجة ضمنها آخر بيت من بيوت قصيدته أكد فيها أنه لا تشابه ، أو تقارب بين موقفي الجيشين فالمسلمون في الثريا ، وأهل الشرك والنصب في الثرى .

(40) خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي : طبع القاهرة ، سنة 1347 هـ ، جـ 1 ، ص 377 .

يقول :

سائل قريشاً غداة السفح من أحد ... ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ... ما أن تراقب من آل ولا نسب
فكم تركنا بها من سيد بطل ... حامي الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضيء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته ... فمن يجبه إليه ينج من تبب[41]
نجد المقدم ماضي الهم معتزم ... حين القلوب على رجف من الرعب
يمضي ويذمرنا من غير معصية ... كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه ... وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاؤوا ولا رجعوا ... ونحن نتبعهم لم نأل في الطلب
لسنا سواء وشتى بين أمرهما ... حزب الإله وأهل الشرك والنصب[42]

ويروى أن دوساً إنما أسلمت فرقاً وخوفاً من كعب بن مالك حين جابهها بما تقدم من شعر[43].

وثار عمرو بن مرة على عبادة الأوثان واعمل معوله في تحطيمها وآثر بدلاً عنها عبادة الواحد الأحد يقول:

شهدت بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساقي الازار مهاجراً ... إليك أجوب الوعث بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك[44]

ومما يذكر هنا ، أنه كان من فضل الله على هذا الشاعر ، أن اختاره رسول الله داعية

---

(41) التبب الهلاك والخسران .

(42) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 34 .

(43) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين : جـ3 ، ص 1083 فما بعدها ـ وراجع عن كعب الخزانة : جـ1 ، ص 376 والأغاني : جـ 15 ، ص 26 ـ ومما يذكر هنا أن الرسول عليه السلام ألبس كعباً لأمته عليه السلام وكانت صفراء وليس هو عليه السلام لأمة كعب (الخزانة : جـ1ص 376) .

(44) جاء في العقد الفريد : جـ 3 ، ص 384 ، أن النبي ﷺ قال لعمر : وهو يشير إلى هذا البيت ، لقد شكر الله لك قولك وفي ص 395 - 396 من نفس الجزء أن بيت الشعر المذكور لحسان على أني راجعت كل ديوان حسان بن ثابت فلم أعثر على البيت المذكور ـ راجع ديوان حسان ـ طبع مطبعة السعادة سنة 1331 هـ .

إلى قومه فتكللت جهوده بالنصر ، حتى لم يبق هناك إلا رجل واحد هو الذي استعصى على الترغيب[45] .

وكان موقف الطفيل بن عمرو الدوسي[46] شبيهاً بموقف عمرو بن مرة ، فقد ثار مثله على عبادة الأوثان واستأذن رسول الله ﷺ في تحطيم (ذي الكفين) صنم عمرو بن حممة ، فما أن أذن له رسول الله بذلك حتى أحرقه ، وأنشأ يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا
أنا حشوت النار في فؤادكا[47]

وكان من فضل الله على الطفيل ، أن جعله سبب هداية لقومه فقد أسلموا جميعاً ، إثر جرأته على إحراق صنمهم وإثر الآية التي جعلها له رسول الله ﷺ عوناً على إبلاغهم رسالة الإسلام إليهم ، ويقص الطفيل ذلك فيقول (فقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم ، فداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يكون لي عوناً عليهم ، فقال اللهم اجعل له آية ، فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة . فتحول في رأسي سوطي ، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق[48] .

ودفع الإيمان بالله ، ورسوله ، عبد الله بن أنيس ، أن يسير وحده ، ليقصم ظهر الشرك ممثلاً في سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي اللحياني وقد وفقه الله فانتصر لدينه ، واستحق بذلك ثناء الرسول عليه السلام ودعاءه له بقوله (أفلح الوجه) بل أنه ليذكر أن الرسول ﷺ ، دفع إليه عصا وقال تخصر بهذه في الجنة ، فأدرجوها له حين وفاته بين جلده وثيابه .

وقد سجل عبد الله بن أنيس ، موقفه الإيماني في هذه السرية وفي غيرها وذكر استبساله وإقدامه على نصرة رسول الله والدفاع عن دينه يقول :

---

(45) العقد الفريد : جـ3 ، ص 384 .

(46) كان الطفيل شريفاً ، شاعراً ، نبيلاً ، كثير الضيافة . أسلم بعد سماعه لآيات من القرآن الكريم تلاها عليه رسول الله ﷺ (عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ1 ، ص 139) .

(47) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ1 ، ص 140 و جـ2 ، ص 200 .

(48) ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، طبع القاهرة سنة 1356 هـ ، جـ1 ، ص 139 .

تـركـت ابن ثـور كـالحـوار وحـولـه ... نـوائـح تـفـري كـل جيـب مـقـدد
تـنـاولتـه والـظعـن خلفي ، وخـلفـه ... بـأبيض من مـاء الجـديـد مـهـنـد
أقـول لـه والـسيـف يـعـجـم رأسـه ... أنـا ابن أنيس فـارسـاً غـير قـعـدد
وقلت لـه : خـذهـا بضربـة مـاجـد ... حـنـيـف عـلى دين الـنـبـي محـمـد
وكـنـت إذا هـم الـنـبـي بـكـافـر ... سبقـت إليـه بـالـلسـان وبـاليـد[49]

وأبدى شماس بن الشريد بن هرمي بن عامر بن مخزوم ، أبدى بطولة رائعة في معركة أحد حتى أن رسول الله ﷺ كان لا يرمي ببصره يميناً ولا شمالاً يـومئذ ، إلا رأى شـماساً في ذلك الوجه يذب عنه بسيفه وحين اشتد أوار المعركة ، ترس شماس بنفسه دون رسول حتى قتل ، فرثته زوجه بقصيدة كما رثاه أخوها بأبيات سجل لـه فيها قـوة إيمانـه وولاءه التام لخالقه ، يقول :

أفـنى حـيـاءك في عـز وكـرم ... فـإنمـا كـان شـمـاس مـن الـنـاس
لا تـقتـلي الـنفس إن حـانـت مـنيـتـه ... في طـاعـة الله يـوم الـروع والـبـاس
قـد كـان حـمـزة لـيث الله فـاصـطبري ... فـذاق يـومئـذ من كـاس شـمـاس[50]

واستبسل خبيب بن عدي في مـواجهة غـدر الأعداء ممن قـدموا عـلى رسول الله ﷺ يبدون له حـاجتهم لعلماء يفقهونهم في دينهم فلما استجـاب لهم وانفردوا بهم ، أعملوا فيهم السيف ، فاستمهلهم خبيب قبل القتل لصلاة ركعتين قال لهم بعدها : والله لولا أن تحسبوا أن مـا بي جزع لـزدت : ثم دعا عليهم بقـوله : اللهم احصهم عـدداً واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً . . عى أنه قبل أن تصعد روحه الطاهرة لباريها سجل لهم ، ولغيرهم عزتـه بإسلامه ، وثباته على ايمانه واستهانته بكل فاجعة تصيبه في سبيل تمسكه بعقيدته . فقال :

فـلسـت أبـالي حـين أُقـتَـل مـسـلماً ... عـلى أي شـق كـان في الله مصرعـي
وذلـك في ذات الإلـه وإن يـشـأ ... يـبـارك عـلى أوصـال شـلو ممـزع[51]

---

(49) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 39 - 40 .

(50) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 35 .

(51) خبيب هذا هو غير خبيب بن أساف بن عتبة الذي شهد بدراً ، هذا وقصة خبيب بن عدي على اختلاف رواياتها تفيض إيماناً وثباتاً على المبدأ مثله في ذلك مثل زملائه مرشد ، وخالد ، وعاصم ، الذين قالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا . ومثل زميله زيد بن الدتنه الذي أثر عنه قوله وهو على خشبة الموت والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه . عيون الأثر : جـ2 ص 42 .

وفي غزوة الخندق برز عمرو بن عبدود ، ليعلم مكانه ، وقدره ، وطلب النزال ، فبرز له سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن أعطاه رسول الله ﷺ ، سيفه ، وعممه ، ودعا له قائلاً : (اللهم اعنه عليه) . . وكان مما قاله سيدنا علي وهو يواجه عدوه يا عمرو . . إنك كنت عاهدت الله ، لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل . . قال له علي : فإني أدعوك إلى الله ، وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك . قال له علي : فإني أدعوك إلى النزال ، قال له لم يا ابن أخي ! فوالله ما أحب أن أقتلك . قال علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره ، وضرب وجهه . ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا ، فقتله علي رضي الله عنه .

وعلى أثر ذلك أنشد سيدنا علي قصيدة يسفّه رأي الكفار ممن قدموا يحاربون المسلمين من أجل نصرة الحجارة ، واعتز بإيمانه ، وبما قدمه من أجل عقيدته . ذاكراً أن ما حصل عليه من نصر كان بتوفيق الله ومعونته : يقول :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت دين محمد بضراب
فصددت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك ورياب
وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب[52]

وأعلن ابن الأكوع في أرجوزته عن صدق إيمانه بالله ، مؤكداً بأنه لولا الله لما فارق طريق الضلال ، وسلك سبيل الهدى ولولا سكينة الله وتثبيته لأقدامهم لما أمكنهم احراز نصر أو غلبة . والأرجوزة على قصرها تنم عن ولاء تام للإسلام وفهم كامل للدين وتسليم لإرادة الله وأمره . . يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
أنا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام إن لاقينا[53]

(52) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 2 ، ص 61 وفي ص 61 - 62 من نفس المرجع قصة أطول مما ذكرناه عن مقتل عمرو بن عبد ود .

(53) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 2 ، ص 130 هذا وورد الشطر الأول من البيت الثاني برواية أخرى نصها :

والمشركون قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

وللعباس بن مرداس شعر يفيض إيماناً بالله ورسوله وينبض بالحياة الجديدة التي نعم بها في ظل كتاب الله . . فيه يفخر بوزارته للنبي ﷺ وتبعيته له . . وما ناله قومه من عز وشرف بمبايعتهم للنبي بالأخشبين . . وفيها يذكر بلاءه وبلاء قومه في سبيل الدعوة الإسلامية أيام غزوة حنين ، حين كانوا جميعاً يقاتلون تحت لواء رسول الله ﷺ وأمرته . . ذلك أنهم رضوا الإسلام ديناً والهدى مسلكاً . يقول :

عفى مجدل من أهله فمتالع ... فمطلى أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ حل عيشنا ... رخي وصرف الدهر للحي جامع
حُبَيبةً ألوت بها غربة النوى ... لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تتبع الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع
دعانا إليه خير وفد علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالاخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين تبايع
فجئنا مع المهدي مكة عنوة ... بأسيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغشى متونها ... حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع
نذود أخانا عن أخينا ولونرى ... وصالاً لكنا الأقربين نتابع
ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا ... وليس لأمر حمّه الله دافع[54]

ونافح الداعية الشهيد سيدنا عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري[55] رضي الله عنه عن الإسلام يذود عن عقيدته ودينه ورسوله بلسانه وسنانه وكان حرصه على لقاء الله أكثر من حرصه على لقاء أصحابه ، أثر كل معركة يخوضها في سبيل الدعوة

---

(54) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 197 - 198 .

(55) من المعروف أن ابن رواحة ينتمي إلى أسرة عرفت بالسيادة والكرم ، والفروسية ، ويعد جده الرابع من أبرز رجالات الخزرج حيث كان المحكم في قضاياهم والمفوض في فض خصوماتهم في السلم والحرب ، أما أمه فهي =

الإسلامية . . ولا أدل على ذلك من قوله ، وهو يرد على من ودعوه وهو في طريقه إلى غزوة (مؤته) قائلين صحبكم الله ودفع عنكم ،وردكم إلينا صالحين ، فقال :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي جرّان مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا[56]

ولقد كان لابن رواحة من المواقف مع رسول الله ﷺ ما يدل على أن النبي كان يعتد بشعره بل إن المقدام بن شريح ليروي عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يتمثل بشعره .

وكان الرسول عليه السلام إلى جانب ما تقدم يدعو لابن رواحة بالثبات ، كرد على استحسانه لما قاله فيه من شعر[57] وقد اختاره نقيباً لقومه كما عينه قائداً ثالثاً في غزوة مؤته .

وقد أثر عن ابن رواحة قوله في ميدان العقيدة :

عصيتم رسول الله أف لدينكم وأمركم السوء الذي كان غاويا
فإني وإن عنفتموني لقائل فدى لرسول الله أهلي وماليا

= كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة وهي حارثيه خزرجية . مثل أبيه . . وكما كان ابن رواحة مبرزاً في الإسلام ، فقد كان مبرزاً في الجاهلية كذلك ، وقد عرف عنه منافحته عن الخزرج وتصديه بالرد على الأوس وشاعرهم قيس بن الخطيم ، وبالرغم من أن شعر ابن رواحة الإسلامي قد حفظ كله إلا أن شعره الجاهلي لم يحفظ منه غير قصيدته الدالية التي تبدأ بقوله :

تنكر بعدما شطت نجودا وكانت تيمت قلبي وليدا

راجع ديوان ابن رواحة جمع وتحقيق د . محمد حسن باجودة ـ القاهرة 1972 . وقد بايع ابن رواحة الرسول عليه السلام ليلة العقبة وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين أمرهم رسول الله ﷺ على قومهم ، كما كان ثالث الأمراء الذي أخبر بهم النبي عليه السلام . وشهد مع الرسول بدراً ، واحداً ، والخندق ، والحديبة ، وعمرة القضاء ، والمشاهد كلها إلا الفتح واستشهد يوم مؤتة ، راجع للزركلي جـ4ص 217 .

(56) الكامل لابن الأثير : جـ2 ، ص158 وعيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 153 .

(57) روى أن رسول الله ﷺ سأل عبد الله بن رواحة قائلاً : أخبرني ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج به صدري فينطلق به لساني قال : فانشدني ، فانشده شعره الذي يقول فيه :

فثبت الله ما أتاك من حسن تفوت عيسى بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ : وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت الله ـ وفي رواية قبلت الله ـ وإياك قبلت الله) . راجع العقد الفريد لابن عبد ربه : جـ3 ، ص 384 - 385 .

أطعناه ، لم نعدل له فينا بغيره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

وهذاأبو سفيان تشمله عناية الله ويحفه أمان رسول الله وتنفذ اشعة التوحيد إلى قلبه فلا يلبث أن يعلن على الملأ إيمانه بعقيدة التوحيد وسخريته بأصنام قومه ، ويعتذر عما سوّد به أيامه السالفة ، من مواقف ضد الإسلام وودعاته يقول :

لعمرك اني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى واهتدي
وهاد هداني غير نفسي ونالني مع الله من طردته كل مطرد
أصد وأنأى جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب لمُحَمَّد
هم ما هم من لم يقل بهواهم وإن كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لا أرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد[58]

وجاء دور عبد الله بن الزبعرى السهوي الذي كان من أشد أعداء الإسلام بحيث لوث أشعاره وسود صحائفه بهجو رسول الله بمكة فلما أن تم الفتح هرب هو ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانيء بنت أبي طالب إلى نجران فأما هبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك وأما ابن الزبعرى. فرجع إلى رسول الله ﷺ واعتذر فقبل عذره.

ومسّ الإيمان بعدئذ شغاف قلبه وأسر عليه لبه فطفق يرتق ما فتقه يوم أن كان كافراً . . وأعلن في قوة إيمانه الصادق بالله ، وبرسالة محمد بن عبد الله ﷺ ، يقول ابن الزبعرى :

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت ، إذ أنا بور
إذا أباري الشيطان في سنن الغيّ ومن نال مثله مثبور
آمن اللحم والعظام بربي ثم نفسي الشهيد أنت النذير[59]

وتدنو المنية من مالك بن الريب التميمي ، ويشعر بأثر السم يسعى في جسده إثر لدغ أفعى له كانت تختبىء في خفه ، فلا تلهيه الفاجعة التي تنتظره عن أن يعلن بهجته ورضاءه عن مسلكه الإسلامي وحسرته على أيام له قضاها في الكفر يقول :

---

(58) سيرة ابن هشام والكامل لابن الأثير : جـ 2 ، ص 164 وهامش نفس الصفحة وعيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 2 ، ص 168 .

(59) الكامل لابن الأثير : جـ 2 ، ص 169 .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزارا ولكن الغضى ليس دانيا
ألم تـرني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا[60]

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من همدان ، كان يضم مالك بن نمط الذي تهلل وجهه حين التقى برسول الله ﷺ فأنشأ ينثر على السامعين عقد إيمانه به ، وتصديقه برسالته ويشيد ببطولة النبي وكرمه . يقول :

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص قلائص تعتلي ... بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفي المهند[61]

(ب) الجهاد والفروسية :

بالرغم من أن شعر الحماسة والحرب كان معروفاً عند الجاهلية إلا أن هناك بونا شاسعاً بينه وبين شعر الجهاد والفروسية في الوسائل والغايات والأخلاقيات والتخطيط .

لقد كان القتال عند الجاهليين سجية من سجايا الرجولة وركنا من أركان الحياة الاجتماعية ومهنة تدل على السؤدد والرفعة، ذلك لأن حياتهم كلها نزال، وضرب، وطعان . . حياة لا مجال فيها للين يقول شاعرهم :

---

(60) مجلة أشعار العرب : ص 143 وسبب ذلك كما جاء في العقد أن مالك بن الريب كان يرثي نفسه بهذه القصيدة . . وذلك أنه كان قد خرج مع سعيد بن عفان ، أخي عثمان بن عفان لما ولي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فإذا بأفعى في داخلها ، فلما أحس بالموت استلقى على قفاه وأنشد قصيدته المشار أعلاه إلى بعض منها .

(61) عيون الأثر لابن سيد الناس جـ2 ، ص 246 .

وفي اللين ضعف والشراسة هيبة ومن لم يهب يحمل على مركب صعب[1]

حياة تسمح أخلاقهم فيها بأن يستأثر القوي بكل نعمة ويترك لغيره الفتات :

ونشرب ان وردنا الماء صحوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

حياة كان اعتقاد الجاهليين فيها يمثل ، في أن الاعتداء على الآخرين وإخضاعهم وظلمهم يشكل جسر أمان لهم وباحة سلم لمجتمعهم ، ولعل بيت زهير بن أبي سلمى يعبر أصدق تعبير عما تقدم حيث يقول :

ومَنْ لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

لقد كانت العدالة في عرف بعضهم أن تهب لنصرة أخيك ظالماً كان أو مظلوماً :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

حياة قبل فيها مجتمع الجاهليين مبدأ المباداة بالشر[62] وسخروا بمن يرعى الله في علاقته بالناس يقول شاعرهم :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
كأنَّ ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا

وكانت غاية البطولة عند الجاهليين منازلة الكماة ومقارعة الأقران والانتصاف لمن أريق دمه من أسرتهم أو قبيلتهم أو محالفيهم . . حتى إنك لترى أن الاهتمام بمثل هذه الأمور يسبب قلقاً للفرد منهم فتراه :

قليل غرار النوم أكبر همه دم الثأر أو يلقى كمينا مسفّعا

على أن الثورة التي قام بها الإسلام في مفهوم الحرب حولت مفهومها الجاهلي إلى مفهوم غايته إعلاء كلمة الله والفوز برضاته والظفر بإحدى الحسنيين فإما نصر يحقق للمقاتل السعادة أو ميتة تكسبه الشهادة ، كما تكسبه نوعاً من الحياة بشره به القرآن الكريم حيث يقول تعالى ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله[63] ﴾ .

---

(62) د . مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية . ص 16, 17, 18 .

(63) سورة آل عمران : الآية 169 .

والأمثلة على ما تقدم كثيرة ، فها هو عمير بن الحمام يقتحم ساحات القتال ، ركضاً إلى لقاء ربه ، وهو ينشد :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل الرشاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد[64]

وها هو حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ يصور وقعة بدر ، وما لاقاه كفار مكة من قتل بسبب كفرهم بالله ، فيقول :

ألا ليت شعري هل أتى مكة الذي قتلنا من الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند رحالهم فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله وشيبة أيضاً عند نائرة الصبر
وكم قد قتلنا من كريم مرزأ له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للخامعات تنوبهم ويصلون ناراً ثم نائية القعر
وبكفرهم بالله والدين قائم وما طلبوا فينا بطائلة الوتر[65]

وفي غزوة حنين ، أبلى آل سليم بلاء حسناً ، حتى صاروا عنواناً للفداء وفخراً لاخوانهم ولكل من انتسب إليهم . . ويكفي أنهم نصروا دين الله ، وحملوا لواء الدعوة إليه ، فكان مشهدهم ، عزا للدين حيث ركبوا إلى العليا سفينة الموت ، يقدمهم إلى ساحات الوغى زعيمهم الضحاك . . وقد كتب الله لهم النصر ، في موقف حرج تكاد تفطر منه الجبال ، وتأفل من هوله الشمس ، والقمر .

يقول العباس بن مرداس مصوراً كل ذلك :

ما بال عينيك فيها عائر سهر مثل الحماطة أغنى فوقها الشعر
عين تاويها من شجونها أرق فالماء يغمرها طوراً وينحدر
كأنهم نظم در عند ناظمه تقطع السلك منه فهو منتثر
يا بعد منزل من ترجو مودته ومن أتى دونه الصمان والحفر

---

(64) راجع : عن عبد الله بن رواحة بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المجلد الثالث ، ص 1040 فما بعدها .

(65) ديوان حسان بن ثابت : ص 155 .

دع مـا تقـدم من عهـد الشبـاب فقـد ... ولى الـشبـاب وزار الـشيـب والـذعـر
واذكـر بـلاء سـليـم في مـواطـنهـا ... وفي سليم لأهـل الـفخـر مـفتـخـر
قـوم هـم نصروا الـرحمن واتـبـعـوا ... دين الـرسـول وأمـر النـاس مشتجر
لايغـرسـون فسيـل النخـل وسـطهم ... ولا تجـاوز في مـشـتـاهـم الـبـقـر
إلا سـوامـح كـالـعقـبـان مقـربـة ... في دارة حـولهـا الأخـطار والـفـكـر
يـدعى خفـاف وعـوف في جـوانبهـا ... وحـي ذكـوان لا مـيـل ولا ضـجـر
الـضـاربـون جنـود الشرك ضـاحيـة ... بـبـطن مـكـة والأرواح تـبـتـدر
حـتى رفـعـنـا وقـتـلاهـم كـأنهم ... نـخـل بـظاهـرة البـطحـاء منقعـر
ونـحن يـوم حـنـين كـان مشـهـدنـا ... لـلديـن عـز وعـنـد الله مـدخـر
إذ نـركـب المـوت مخضرا بـطائـنـه ... والخيـل ينجاب عنهـا سـاطـع كـدر
تحت اللوامـع والـضحـاك يـقـدمـنـا ... كـما مشى الـليث في غـابـاتـه الخـدر
في مـأزق من مكـر الحـرب كـلكلهـا ... يكـاد يـافـل منـه الـشمس والـقمـر
وقـد صـبرنـا بـأوطـاس أسـنـتـنـا ... لله تـنصر مـن شئـنـا ونـنـتصر
حـتى تـأوب أقـوام مـنـازلهـم ... لـولا المليـك ولـولا نحن مـا صـدروا
فـما تـرى مـعشرا قـلوا ولا كـثروا ... إلا وأصـبـح مـنـا فـيـهـم أثـر[66]

ويقف سيدنا أبو بكر الصديق ، موقف الأبطال من الدعاة الأوائل فيعلن على الملأ في قوة وحزم شجبه لموقف الكفار من رسول الله وينعى عليهم تمسكهم بتحريم القتال في الأشهر الحرم مع تفريطهم في التمسك بحبل الرشاد يقول :

تـعـدون قـتـلاً في الحـرام عـظيـمـة ... وأعـظم منه لـو يـرى الـرشـد راشـد
صـدودكـم عـما يـقـول محـمـد ... وكـفـر بـه والله راء وشـاهـد
شـفيـنـا من ابـن الحضرمي رمـاحـنـا ... بـنـخـلة لمـا أوقـد الحـرب واقـد [67]

وينحو ابن رواحة منحى إخوته في الجهاد فيعلن على الجميع موقفه البطولي قائلاً :

---

(66) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 198 .

(67) نسبت هـذه الأبيات أيضاً لعبد الله بن جحش (عيـون الأثـر : جـ 1 ، ص 229) . هـذا وفي تـاريـخ الخلفـاء للسيوطي ، ص 122 - 123 ، أن أبا بكر كان يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان عثمان يقول الشعر . وأورد ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد : جـ 3 ، ص 388 فما بعدها قوله : أن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ قال : قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر ، قيل له : وأنت أبا حمزة ؟ قال : وأنا .

نجالد الناس عن غرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السُّوَر
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

ويروى أنه لما نزل جيش المسلمين (معان) ، من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل (مآب) ، من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم بخلاف من انضموا إليهم . . فاثر كثرة عدد المناوئين على بعض المسلمين . . وخشي عبد الله بن رواحة أن تفتر عزيمة المسلمين عن منازلة أعداء دينهم ، فوقف يشجعهم قائلاً : يا قوم والله إن التي تكرهون ، والتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور ، وإما شهادة ، وأنشد يقول :

فلا وأبي (مآب) لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأنَّ البيض فيه إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها أسنتها فتنكح أو تئيم[68]

بل وتبلغ بابن رواحة الشجاعة أن يتغنى بالموت ويجعله له غرضاً ، وهدفاً ، طالما كان فيه نصرة الدين وإعلاء كلمة الله . يقول وقد جاء دوره في أخذ الراية وقيادة معركة (مؤتة) بعد أن اختاره رسول الله ﷺ لها قائداً ، يخلف جعفر بن أبي طالب ، خليفة زيد بن حارثة في غزوة (مؤتة) :

أقسمت يا نفسي لتنزلنه لتنزلنَّه أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه

ويروى أن ابن رواحة هذا كان يقود ناقة رسول الله ﷺ ذات مرة فاستشعر جلال الموقف ومهابة الداعية ، وعظم الأمانة التي أنيطت به وبأمثاله فأعلن في أبيات شعرية شعوره تجاه دعوة الإسلام ونعى على الكفار موقفهم المعادي للرسول عليه السلام ، ودعاهم بأن يخلوا بينه وبين أدائه لمهمته وحذرهم بأنهم إن لم يفعلوا فسيروا مستقبلاً منه ومن أمثاله جرأة

(68) سيرة ابن هشام : جـ4 ، ص 9 - 10 .

وبسالة في الدفاع عن رسول الله وعن رسالته تماثل ما وجد منهم في الماضي حيث قتلوهم وأزالوا عنهم رؤوسهم يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله ... يا رب إني مؤمن بقيله
نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله[69]

وكانت موقعة بدر سبباً في اثراء الفكر بزاد شعري ، يسجل في ثناياه بطولات المسلمين وتفانيهم في إيمانهم وينثر على الملأ نوعاً من الثقافة الجديدة التي زود بها الإسلام معتنقيه .

يقول سيدنا حمزة بن عبد المطلب :[70]

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فخانوا تواصي بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر جميعهم ... فكانوا رهونا للركية[71] من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاوياً ... وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر[72]
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب ... كرام تفر عن الذوائب من فهر

---

(69)سيرة ابن هشام : جـ2 ، ص 255 ـ وعيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 149 ـ والمعاهدات والمحالفات على عهد رسول الله ﷺ لحسن خطاب الوكيل ـ الطبعة الأولى سنة 1349 هـ/1930 م ـ المطبعة المصرية بالأزهر : ص 50 - 51 .

(70) من الناس من ينكر نسبها إلى حمزة ، راجع : عيون الأثر : جـ1 ، ص 288 .

(71) الركية : البئر .

(72) الجفر البئر غير المطوية .

أولئك قوم قتلوا في صلابهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألف وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر[73]
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق[74] فيه منياهم تجري[75]

ونال كعب بن الأشرف من رسول الله ﷺ وآذى المؤمنين وشبَّب بنساء المسلمين [76] ، وامتدح عدوهم وحرضهم على قتال المسلمين ، ثأراً مما لحقهم من يوم بدر ، فقال عليه السلام : من لنا من ابن الأشرف ، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا . . فأجاب محمد بن مسلمة دعوة رسول الله ﷺ واستعان على قتله بأربعة من المسلمين ، كان من بينهم أبو عيسى بن جبر وعباد بن بشر وقد قص عباد هذا خبر هذه السرية وما قاموا به من دور في اسكات صوت الباطل وإزهاق روح ا لكافر المناوىء لدين الله المعادي لرسالة نبيه يقول :

صرخت به فلم يعرض لصوتي ... وأوفى طالعاً من رأس جدر
فعدت له فقال من المنادى ؟ ... فقلت : أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها ... لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال : معاشر سغبوا وجاعوا ... وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا ، يهوي سريعاً ... وقال لنا : لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد ... مجربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة؟ المردي ... به الكفار كالليث الهزير
وشد بسيفه صلتا عليه ... فقطره أبو عيسى بن جبر

(73) المسدمة من قولهم فحل سدم إذا كان هائجاً .
(74) المأزق : موضع الحرب .
(75) راجع نص القصيدة كاملاً في عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 1 ، ص 288 .
(76) جاء في كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : ص 13 ، أنه قد شبَّب بأم الفضل بن العباس وأم حكيم بنت عبد المطلب .

وكـان الله سـادسـنـا فـأبـنـا بأنعم نـعـمـة وأعـز نصر
وجـاء بـرأسـه نـفـر كـرام هـم نـاهـيـك مـن صـدق وبـر[77]

ولم تكن نساء المسلمين . بمعزل عما يدور في ساحات الوغى فشاركن جهدهن في المعارك بالسنان واللسان وكان مما قالته هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب رداً على هند بنت عتبة[78] :

خـزيـت في بدر وبـعـد بـدر يـا بـنـت وقـاع عـظيـم الـكـفـر
صـبـحـك الله غـداة الفجـر بـالهـاشـمـيـين الـطوال الـزهـر
بـكـل قـطاع حـسـام يـفـري حمـزة لـيـثـي وعـلى صـقـري
إذ رام شـيـب وأبـوك غـدري فـخـضـبـا منـه ضـواحي الـنـحـر
ونذرك السوء فشر نذر[79]

(جـ) الأخلاق :

صياغة الخلق الإسلامي في القالب الشعري ضرب جديد كل الجدة على المجتمع آنذاك ذلك لأنه يصور الانقلاب الفكري والسلوكي الذي طرأ على المجتمع ، فأحدث تغييراً شاملاً كان من جرائه أن طرح الناس كثيراً من التقاليد ، والأعراف التي لا تتفق والتعاليم الإسلامية ، وتبنوا عرفاً جديداً وخلقاً سوياً قدوتهم المجسدة فيه رسول الإنسانية ومنهجهم المكتوب فيه كتاب الله .

إن هذا التبدل الكبير يظهر في مظاهر شتى ، منها أعراض المسلم عن شتم الآخرين يقول تميم بن مقبل . وكان قد مر بشخصين يسبانه ويعيرانه بالعور :

لـولا الحيـاء ولـولا الـدين عـبتكـما ببعض مـا فـيكـما إذ عـبتـما عـوري
لـقـد قـلتـما لي قـولاً لا أبـاً لـكـما فيه حـديث عـلى مـا كـان من قصر[80]

---

(77) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 1 ، ص 301 .
(78) هند بنت عتبة هي التي بقرت من كبد سيدنا حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها . جـ 2 ، ص 18 ـ عيون الأثر لابن سيد الناس .
(79) عيون الأثر : جـ 2 ، ص 18 .
(80) ديوان تميم بن مقبل : ص 76 .

2 ـ الأعراض عن اللهو وشرب الخمر ، يقول مازن بن الغضوية :

كنت امـرأ بـاللهـو والخمـر مـولـعـا ... شـبـابي إلى أن آذن الله بـالـنهـج
فـبـدلني بـالخـمـر خـوفـاً وخـشـيـة ... وبـالعهـر احصـانـاً فحصن لي فـرجي
فـأصـبـحـت همي في الجـهـاد ونـيـتي ... فلله ما صـومي ولـله مـا حـجـي[81]

3 ـ الاعراض عن مغازلة النساء ، إيثاراً للعفة ، والتزام الجادة ورضاء واقتناعاً بما هو أسمى وأرفع من اللهو واللعب يقول فضالة بن عمر الليثي معبراً عن هذا النهج الجديد في السلوك في الرد على من دعته إلى الحديث معها، يوم فتح مكّة مراعاة لصلة قديمة كانت بينهما:

قالت: هلم إلى الحديث فقلت ... لا يأبى عليَّ الله والإسلام
لـو مـا رأيـت محـمـداً وقـبـيـله ... بـالـفـتـح يـوم تـكسر الأصـنـام
لـرأيـت دين الله أصـبـح بـيـنـنـا ... والشرك يـغشى وجهه الاظـلام[82]

4 ـ الاعراض عن كل ملاذ الحياة ، إيثاراً للعبادة وانصرافاً إلى مرضاة الله بتلاوة كلامه واداء شعائره .

تقول عثامة زوجة أبي الدرداء ، وكان قد دخل عليها ابنها بلال فجراً ، بعد أن كف بصرها ، فسألته عن الصلاة فعلمت منه أنهم أدوها فتحسرت على تأخيرها للصلاة ، وأنشأت تعنف نفسها قائلة :

عـثـام مـالـك لاهـيـه ... حـلـت بـدارك داهـيـه
إبكِ الـصـلاة لـوقـتـهـا ... ان كـنـت يـومـاً بـاكـيـه
وأبـك الـقـران إذا تـلي ... قـد كـنـت يـومـاً تـالـيـه
فـالـيـوم لا تـتـلـيـنـه ... إلا وعـنـدك تـالـيـه
لهـفـي عـلـيـك صـبـابـة ... مـا عشت طـول حـيـاتـيـه[83]

---

(81) الاستيعاب : جـ3 ، ص 477 .

(82) الأصنام : ص 31 ـ وعيون الأثر لابن سيد الناس : جـ2 ، ص 180 ومما يذكر أن فضالة هذا أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ أفضالة ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : ماذا كنت تحدث به نفسك قال : لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه .

(83) الزهد : ص 170 .

5 ـ الوفاء بالوعد : التزاماً بتوجيه رسول الله ﷺ وتنفيذاً لأوامر المولى حيث يقول : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾ وقد وردت في ذلك اشعار كثيرة تمجد هذا الاتجاه وتشيد به منها قول أبو اناس :

تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل حاف من تهام ومنجد
وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبرّ وأوفى ذمة من محمد[84]

6 ـ الاسهام في أعمال الخير، وهو سلوك إسلامي رفيع يؤكد وحدة البنية الإسلامية وقوتها وصلابتها .

يقول أحد المسلمين وهو يشير إلى مساهمته في بناء مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة إثر هجرته إليها :

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل[85]

7 ـ التسليم التام ، والتنفيذ الكامل ، لأوامر الله ، مهما كانت التضحيات ولا أدلُّ على ذلك من موقف محيصة بن مسعود من أخيه حويصة إثر قتل الأول لابن سنينة اليهودي ، تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ بذلك إذ يروى أن حويصة لام أخاه على أقدامه على فعلته فضربه فقال له محيصه : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ، فقال له حويصة أن ديناً يبلغ بك هذا لعجب . . ثم أسلم حويصة .

فقال محيصة يقص ما حدث :

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى أُصوِّبه فليس بكاذب
وما سرني أني قتلتك طائعاً ... وأن لنا ما بين بصري ومارب[86]

ومن موقف أبي دجانة، حيث التزم لرسول الله ﷺ أن يضرب بسيفه الكريم في وجه العدو حتى ينحني . . ولما كان أبو دجانة رجلاً شجاعاً ، فقد وفّى بالتزامه ، وأقدم على قتال أعداء الله ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . . وكان يقول :

---

(84) عيون الأثر لابن سيد الناس : جـ 1 ، ص 191 - 192 .
(85) عيون الأثر : جـ 1 ، ص 195 .
(86) عيون الأثر لابن سيد الناس : ص 301 - 302 .

أنـا الـذي عـاهـدني خـليـلي ونـحن بـالـسفـح لـدى الـنخيـل
أن لا أقـوم الـدهـر في الكيـول[87] أضرب بـسيـف الله والـرسـول[88]

8 ـ العبودية التامة والولاء الكامل لذات الإله ، إذ كان من الطبيعي وقد غمر الإيمان بالله قلوب صحابة رسول الله أن يترجموا هذا الإيمان القلبي إلى عمل تكون غايتهم فيه وجه الله ، وهدفهم منه رضاءه . . من أجل الله تركوا القيان وعزفهن ، وشغلوا أنفسهم بالعبادة ، والجهاد ، لا يبتغون من وراء ذلك إلا الفوز بالسعادة الأبدية التي تفوق المال والأهل . يقول الأعرابي :

تـركـت الـقـيـان وعـزف الـقـيـان وأدمـنـت تـصـليـة وابـتـهـالا
وكـر المشقـر في حـومـة ونـشـني عـلى المشركـين الـقـتـالا
أيـا رب لا أغـبـنـن صـفـقـتي فـقـد بـعـتُ مـالي وأهـلي بـدالا

هذا ومما يذكر أن رسول الله ﷺ بشر كل المسلمين ممثلين في هذا الاعرابي بالفوز ، والربح ، فقال له : إثر سماعه لأبياته : ربح البيع، ربح البيع[89] .

(د) شعر الهجرة :

للهجرة في تاريخ الإسلام أثر لا ينسى ، ومكانة لا تغفل ، وهي إن كانت من ناحية تضحية من المسلمين بمالهم وأولادهم ، ومقر إقامتهم في سبيل الله ، فهي من ناحية أخرى إعلامٌ داخلي وخارجي، بدين الله وتخطيط حربي وتكتيك استراتيجي من أجل نصرة دين الله .

بالهجرة أمن المسلمون غائلة جيرانهم من الأحباش[90] ، واشهدوا العالم النصراني ،

---

(87) الكيول مؤخرة الصفوف .

(88) راجع القصة الكاملة في عيون الأثر : جـ2 ، ص 9 - 10 .

(89) العقد الفريد : جـ3 ، ص 383 .

(90) كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة هي أول هجرة قام بها المسلمون إلى خارج مقر الدعوة الأولى للإسلام ، وقد اشترك فيها عشرة رجال ، أو أحد عشر رجلاً ، وأربع نسوة كان من بينهم سيدنا عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي ﷺ ، وأبو حذيفة بن مظعون ، وكان أميراً لهم يشرف على شؤونهم . . وقد تمت الهجرة في رجب سنة خمس من النبوة ، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة . . وكان رجوعهم مرة ثانية للحبشة بأمرة جعفر بن أبي طالب حيث بلغ عددهم هذه المرة اثنين وثمانين رجلاً (الكامل لابن الأثير جـ2 الصفحات 51, 52, 53) .

على أن النبع الذي استقى منه سيدنا عيسى عليه السلام ، هو ذات النبع الذي استقى منه خاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم . . كما أكدوا بالهجرة للعالم أجمع عبر الملتقى الفكري الذي أداره ملك الحبشة سماحة الدين الإسلامي وعدالته وأوضحوا لهم مبادئه وأسسه ، وكان مما قاله ممثل المهاجرين وأميرهم في الهجرة الثانية للحبشة ، سيدنا جعفر بن أبي طالب : أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئاً ، ونخلع ماكنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام[91] .

لقد كانت الهجرة إذن مرحلة بارزة من مراحل نشر الفكر الإسلامي ، كما كانت فيصلاً بين عهد الظلم والظلمات الذي كتب على المسلمين أن يكافحوه ، وبين عهد العدالة والنور الذي قدر للمسلمين أن ينعموا به بين ذويهم الجدد من الأنصار ، وجيرانهم الواعين لكنه رسالتهم من النصارى .

إن دور الهجرة في التاريخ الإسلامي كان من الوضوح والأهمية بحيث أن اغفاله أو إهماله ، يتضمن فيما يتضمن اغفالاً ، واهمالاً ، لأول دولة بناها رسول الله ﷺ على ضوء تعاليم الدين الخاتم للأديان الإلهية ، كما يتضمن نبذاً للفكرة السامية ، التي بنى عليها المسلمون قرارهم في اتخاذ عام الهجرة عاماً مفضلاً للتسجيل الزمني لكل شؤونهم الدينية ، والدنيوية ، باعتباره عامًا فاصلاً بين الحق والباطل[92] .

---

(91) الكامل لابن الأثير : جـ2 ، ص 55 .

(92) ذكر في سبب عمل التاريخ أشياء منها . . أنا أبا موسى الأشعري ، كتب إلى عمر رضي الله عنه : أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وقال آخرون أرخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، وذلك سنة سبع عشرة ، وهي السنة الرابعة من خلافة عمر . . وكانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول (أو يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول كما في العقد الفريد جـ3 ص 57) . وكان أول السنة أعني المحرم هو يوم الخميس أو الجمعة ولما كان مشتهراً عند القوم اعتبروه مبدأ لعامهم الهجري خاصة وأنه شهر حرام ، وهو أول السنة ومنصرف الناس من الحج ، كما يقول سيدنا عثمان بن عفان فيما نسب إليه في إحدى روايات مبدأ التاريخ الهجري . . هذا وكان المسلمون قبل اتفاقهم على شهر معين وسنة معينة يسمون كل سنة بإسم الحادثة التي وقعت فيها ويؤرخون بها ، فسميت السنة الأولى من سنى مقام النبي ﷺ =

هذا وقد شارك الشعراء بشعرهم في إجلاء أهمية الهجرة ، وإبراز مكانتها وتجسيد أهميتها فكان مما قاله أهل المدينة المنورة أجمع ، وهم يستقبلون رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

(هـ) حروب الردة :

وهكذا مضت الفترة الأولى من صدر الإسلام ، ولكنه ما أن ثقل رسول الله ﷺ ، والتحق بعدها بالرفيق الأعلى ، حتى اشرأبت أعناق النفاق ، فأحدثت شرخاً في المجتمع الموحد الذي بناه رسول الله ﷺ ، إذ انقسم الناس بعد وفاته عليه السلام إلى فرق :

(أ) ـ فرقة أعلنت في قوة وحزم استمرارها في الولاء للدين الإسلامي والتزامها الكامل بكل مبادئه وأسسه وتنفيذها التام لجميع تشريعاته ، وأبرز هؤلاء قريش ، وثقيف ، وأهل نجران ومعظم أفراد قبيلة بجيلة .

(ب) ـ فرقة اختارت العمى على الهدى ، وهم بنو طيء وأسدومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد الأسدي ، وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة ، وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود العنسي وكثير غيرهم .

(جـ) ـ وفرقة فرقت بين بعض الفروض الإسلامية ، فآثرت العمل بالتشريعات غير المالية ، وعطلت الزكاة ، وهم بعض بني تميم بزعامة مالك بن نويرة إلى جانب بني هوازن ، وآخرين[93] .

وهنا كان على سيدنا أبي بكر ، وقد آلت إليه خلافة الإسلام أن يتخذ من هؤلاء

= بالمدينة ، الإذن بالرحيل ، أي من مكة إلى المدينة والثانية سنة الأمر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص . . الخ (راجع الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام 902 مطبعة الترقي عام 1349 هـ الصفحات 79 , 80 , 81, 82 .

(93) لتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الحضري : الطبعة الثالثة بمطبعة الاستقامة بالقاهرة : ص 24 ـ والكامل لابن الأثير : جـ2 ، الصفحات 231 , 254, 255 ـ والسيوطي تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، ص 49 فما بعدها .

وأولئك موقفاً ، يعيد به للإسلام وحدته ، وقوته ، ومضاء تشريعه . فكان أن قال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة ، والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[94] .

وبدأ سيدنا أبو بكر معركته الحربية ، والإعلامية[95] على المرتدين والعصاة وقد كتب له الله النصر على هؤلاء وأولئك ، واشترك الشعراء في هذه المعركة بسنانهم وسجلوا بلسانهم غرضاً جديداً من أغراض الشعر في هذه الفترة كان يدور حول ما اصطلح عليه بحروب الردة . وحروب الردة ميدان جديد لم يألفه السابقون . بل لم يكن مألوفاً حتى في زمن رسول الله ﷺ .

واشتهر من الشعراء في هذا المجال مجموعة منهم ، زياد بن حنظلة يقول :

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذبيان يلتهب التهابا
أتيناهم بداهية نسوق ... مع الصديق إذ ترك العتابا[96]

وعبد الله بن حذف حيث يقول معبراً عما ألم بهم من حصار أهل الردة لهم :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في (جؤاثا) محصرينا
كأنّ دماءهم في كل فجٍّ ... شعاع الشمس تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن أنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا[97]

واشترك عفيف بن المنذر في قتال أهل الردة ، وملاحقتهم ، وكان من خبره : أن عبد الله بن حذف دل جيش المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي على موطن ضعف أهل الردة وما هم فيه من غيبة وغفلة بما شربوه من المسكرات فخرج المسلمون عليهم ، ووضعوا فيهم

(94) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء : ص 24 ـ والفخري في الآداب السلطانية ، ص 61 .

(95) جاء في تاريخ الآداب العربية لجورجي زيدان : جـ 1 ص 183 ما يأتي : ولم يكن الراشدون يرون بأسا من أن يقولوا الشعر هم أنفسهم فقد رووا لأبي بكر قصيدة حماسية قالها في غزوة عبيدة بن الحارث ، ورووا لعمر أبياتاً في الحكم ونحوه وكذلك لعثمان أما علي فالمروى من شعره كثير ، بعضه قاله في صفين ولم يبق من الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً كانوا يقولون الشعر : ص 122 - 123 ، وفي جمهرة أشعار العرب : ص 16 ، ما نصه (لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر وتمثل به) .

(96) الكامل لابن الأثير : جـ 2 ، هامش ص 233 .

(97) الكامل لابن الأثير : جـ 2 ص 249 .

السيف كيف شاؤوا، وهرب الكفار ، فمن بين هالك ، وناج ، ومقتول ، ومأسور ، واستولى المسلمون على العسكر ، ولم يفلت رجل إلا بما عليه ، وكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين ، بكل طريق ففعلوا . وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك ، فأمر أن يؤتى من وراء ظهره فندب حينئذ الناس إلى (دارين) ، وقال لهم : قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوكم ، واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا، حتى اقتحم البحر على الخيل ، والإبل ، والحمير وغير ذلك . وفيهم الراجل ، ودعا ، ودعوا ، وكان من دعائهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحد ، يا صمد ، يا حي ، يا محي الموتى ، يا حي ، يا قيوم ، لا إله إلا أنت ، يا ربنا . . فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فظفر المسلمون ، وانهزم المشركون ، فقال عفيف بن المنذر يسجل ذلك :

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من فاق البحار الأوائل[98]

(98) الكامل لابن الأثير : جـ2 ص 250 - 251 ، وهامش ص 251 أيضاً .